مواقع التواصل الاجتماعي أداة هيمنة ثقافية

دراسة نقدية في الاستشراق الحديث

بقلم

الباحث باسم محمد ناصر

الجامعة المستنصرية

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

المقدمة

شهد العالم منذ مطلع القرن الحادي والعشرين تحولات جذرية في أنماط التواصل الإنساني، حيث أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي فضاءً مركزياً لإنتاج المعرفة وتداول الخطاب الثقافي والسياسي، فإذا كان الاستشراق التقليدي قد ارتبط بكتابات المستشرقين الغربيين في القرون الماضية، فإن الاستشراق الحديث يتجلى اليوم في صور رقمية جديدة، تُعيد إنتاج الصور النمطية عن الشرق عبر منصات مثل فيسبوك، تويتر، إنستغرام ويوتيوب.

تكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن كيفية توظيف هذه المنصات بوصفها أدوات هيمنة ثقافية، إذ لم تعد السيطرة الغربية مقتصرة على القوة العسكرية أو الاقتصادية، بل امتدت إلى الفضاء الافتراضي حيث تُصاغ السرديات وتُبنى التصورات عن "الآخر الشرقي"، ومن هنا تبرز إشكالية البحث: **كيف تُستخدم مواقع التواصل الاجتماعي في تكريس خطاب استشراقي حديث يعيد إنتاج الهيمنة الغربية على الشرق؟**

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة نقدية للاستشراق الرقمي، من خلال تحليل آليات الهيمنة الثقافية في الفضاء الافتراضي، واستكشاف أثرها على الهوية الشرقية، مع محاولة تقديم بدائل مقاومة لهذا الخطاب المهيمن.

إن الاستشراق لم يعد مقتصراً على النصوص الأكاديمية، بل انتقل إلى الفضاء الرقمي عبر مواقع التواصل الاجتماعي، هذه المنصات تُستخدم كأدوات هيمنة ثقافية، حيث تُوجَّه الخوارزميات والمحتوى لتكريس صور نمطية عن الشرق، يبيّن المقال أن هذا الخطاب يعيد إنتاج علاقة القوة بين الغرب والشرق، ويؤثر على وعي الشباب وهويتهم الثقافية، وفي الختام، تحث هذه الدراسة على الوعي النقدي وبناء سرديات محلية مقاومة للهيمنة الرقمية.

ما هو مفهوم الاستشراق.. والاستشراق الكلاسيكي

عند النظر إلى لفظة "استشراق" نجد أنها مصوغة على وزن استفعال، ولوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وجاء في "المعجم الوسيط" **"شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلع"** وفي لسان العرب: شرق: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق.

إن مفهوم الاستشراق اصطلاحا يقصد به "علم الشرق أو علم العالم الشرقي" وعّرف البعض الاستشراق أيضاً بأنه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته" وبصفة عامة يمكن تعريف الاستشراق بأنه: "أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي (انطلوجي)، ومعرفي (ابستمولوجي) بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

أكاديمية يقوم بها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ ونظم وثروات وإمكانات، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية "كالتركية والفارسية" وغيرها من اللغات، لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة" ويرى الكثير من الباحثين الغربيين أن تاريخ الاستشراق بدأ في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الميلادي حين تم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية وظهر أول قاموس لاتيني عربي بالإضافة إلى العديد من الكتب العربية الأخرى التي تمت ترجمتها إلى اللاتينية أو اليونانية، لكن هناك باحثون آخرون يعتقدون أن تاريخ الاستشراق بدأ في القرن العاشر الميلادي ما قبل الحملات الصليبية على العالم الإسلامي وأن تلك الحملات لم تكن سوى رد فعل لما اكتشفه الغرب عن العرب والمسلمين وثقافتهم التي تتعارض أحيانًا معهم لا سيما من الناحية الدينية، ما جعلهم يخشون أن تؤثر تلك الثقافة سلبًا على المسيحية والثقافة الغربية.

وعلى الرغم من ذلك، فإن بعض الباحثين يؤرخون لبداية الاستشراق مع بداية الحملات الصليبية، لا سيما وأن الدافع ورائها لم يكن دافعًا دينيًا وثقافيًا فقط كما يرجح البعض بل دافعًا استعماريًا واقتصاديًا في الأساس، وحين فشلت الحروب الصليبية في هزيمة الشرق بدأ الغزو العسكري يتحول إلى غزو فكري، ومن ناحية أخرى يربط بعض المؤرخين بين ظهور الاستشراق وظهور التبشير ويرجعون تاريخه إلى القرن الرابع عشر حين قام مجمع (فيينا) الكنسي عام 1361م بإصدار قرار إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في الجامعات الأوروبية لإعداد المبشرين الغربيين للتبشير بالديانة المسيحية في العالم العربي الإسلامي، وقد كان السبيل إلى ذلك هو تعلم لغة المسلمين.

وقد تبع ذلك إنشاء العديد من الجامعات والمعاهد الشرقية في (أوروبا) في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، وبحلول القرن السابع عشر الميلادي كانت حركة الاستشراق قد دخلت طورًا متميزًا ولم تعد تقتصر على التبشير والتنصير فقط، بل أصبحت ذات هدف علمي وكذلك تجاري استعماري، لا سيما أن الدولة العثمانية في ذلك الوقت كانت من أقوى الدول في العالم، ولم يصبح الاستشراق ذو نزعة علمية متحررة من الدوافع والأغراض الأخرى كالتبشير والاستعمار والتجارة إلا بحلول القرنين التاسع عشر والعشري، حيث بدأ الغرب يتخلص من الصور المشوهة والنمطية عن الشرق التي قدمها له الاستشراق على مدار القرون الفائتة وأصبحت الدراسات الاستشراقية أكثر موضوعية من ذي قبل، ويعد كتاب الاستشراق للمفكر والناقد العالمي إدوارد سعيد (1978) نقطة تحول في دراسة العلاقة بين الغرب والشرق، حيث كشف عن أن الاستشراق ليس مجرد دراسة أكاديمية للشرق، بل هو خطاب سياسي وثقافي يهدف إلى تكريس الهيمنة الغربية، فقد صوّر الغرب الشرق بوصفه فضاءً غريباً، متخلفاً، يحتاج إلى تدخل غربي متحضر لإدارته وضبطه، وهذا الخطاب أسّس لشرعية الاستعمار، وأنتج صوراً نمطية ما زالت حاضرة حتى اليوم، والاستشراق التقليدي كان مُقتصراً على النصوص التخيلية عن الشرق والشرقيين، التي كتبها المستشرقون الموالون للسلطة

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

السياسية، وكانت على المستوى النظري فقط وأنظمة الاستشراق التقليدية متمثلة بفرنسا وبريطانيا، مع نصيب قليل لألمانيا وروسيا وإيطاليا، بينما الاستشراق الحديث هو الذي خطفته الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، لترفع بذلك شمعة الإمبريالية الغربية الحديثة على دول العالم الثالث، وهي تتصدر المشهد العالمي منذ الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك العلوم الإنسانية كانت متأثرة بالأيديولوجية الاستشراقية في أغلب حالاتها، نظراً للهيمنة الاستشراقية على المؤسسات العلمية والأكاديمية.

هذه هي الفرضية التي تخيلها إدوارد سعيد عن الاستشراق، وتلك هي الرؤية التي وضع فيها إدوارد سعيد المستشرقين في كتابه، فهو يتناول النصوص الاستشراقية من منظور خطابي ما بعد بنيوي وهو يحلل هذه النصوص الاستشراقية، انطلاقاً من فلسفة ميشيل فوكو للخطاب وللمعرفة الإنسانية ما بعد البنيوية.

الهيمنة الثقافية والاستشراق الرقمي

قدّم أنطونيو غرامشي مفهوم "الهيمنة الثقافية" بوصفها شكلاً من أشكال السيطرة الناعمة، حيث لا تُمارَس السُلطة عبر القوة المباشرة فقط، بل من خلال فرض منظومة قيم ومعايير ثقافية تجعل الشعوب المستعمَرة تتبنى رؤية المستعمِر للعالم، في هذا السياق، يمكن النظر إلى مواقع التواصل الاجتماعي كأداة حديثة لإعادة إنتاج هذه الهيمنة، إذ تُوجَّه الخوارزميات والمحتويات بما يخدم مصالح القوى الكبرى، ومع ظهور الإنترنت، انتقل الاستشراق من النصوص الأكاديمية والرحلات الاستكشافية إلى الفضاء الافتراضي، اليوم، تُبنى الصور النمطية عن الشرق عبر مقاطع الفيديو، التغريدات، الصور، والميمات، التي تنتشر بسرعة هائلة وتصل إلى ملايين المستخدمين، هذا الشكل الجديد من الاستشراق يُعرف بـ"الاستشراق الرقمي"، حيث تُستخدم أدوات الإعلام الجديد لتكريس خطاب الهيمنة، مع إضفاء طابع حداثي يوحي بالموضوعية والحياد، بينما هو في جوهره استمرار لآليات السيطرة القديمة.

وفي هذا العصرٍ الذي تتداخل فيه الحدود بين الواقع والافتراض، وتتشابك فيه خيوط المعرفة مع خوارزميات المنصّات الرقمية، يبرز مفهوم الاستشراق الرقمي بوصفه امتداداً جديداً لخطابٍ قديم أعاد تشكيل نفسه داخل بيئة إعلامية أكثر تأثيراً وانتشاراً، فبينما كان الاستشراق التقليدي يعتمد على الرحّالة والمستشرقين والكتّاب والفنانين لتكوين صورة "عن الشرق"، فإن النسخة الرقمية منه اليوم تُصنع عبر شبكات الأخبار العالمية، ومنصّات التواصل الاجتماعي، ومحركات البحث، وخوارزميات التصفية التي تحدد ما يُرى وما يُخفى، وما يُضخّم وما يُهمّش، وهكذا، لم يعد الشرق يُعاد إنتاجه عبر نصوص أدبية أو لوحات فنية فقط، بل عبر تدفقات هائلة من الصور والفيديوهات والعناوين العاجلة التي تُبنى وفق منطق السرعة والانتشار والتأثير.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

لقد أصبحت وسائل الإعلام الغربية لاعباً مركزياً في تشكيل المخيال الجمعي العالمي حول الشرق الأوسط والعالم الإسلامي وآسيا وشمال إفريقيا، فهي لا تنقل الأحداث فحسب، بل تصنع إطاراً تفسيرياً يحدد معنى الحدث، ويعيد ترتيب عناصره، ويُسقط عليه منظومة من القيم والتصورات المسبقة، وفي هذا السياق، يتحول الشرق إلى شرق رقمي جديد: شرقٍ مُفلتر، مُجزّأ، مُختزل في ثنائيات جاهزة مثل العنف/ الاستقرار، الحداثة/ التخلّف، الديمقراطية/ الاستبداد، والحرية/ التهديد، شرقٌ لا يُرى كما هو، بل كما تسمح به عدسات الكاميرات الغربية وخوارزميات المنصّات التي تُعيد تدوير الصور النمطية القديمة في قالبٍ معاصر.

إن الاستشراق الرقمي لا يقتصر على التغطيات الإخبارية، بل يمتد إلى صناعة الترفيه، وتحليلات الخبراء، وصور الشرق في السينما والمسلسلات، وحتى في نتائج البحث على الإنترنت، فحين يبحث المستخدم الغربي عن العرب أو المسلمين أو "الشرق الأوسط"، فإن ما يظهر أمامه ليس مجرد معلومات محايدة، بل منتج معرفي تشكّله شركات التكنولوجيا الكبرى وفق معايير تجارية وسياسية وثقافية، وهكذا، تتكرّس صورة الشرق كفضاء للأزمات، والحروب، والغرابة الثقافية، في حين تُهمّش جوانب الحياة اليومية، والإبداع، والتنوع، والتاريخ الاجتماعي الحقيقي لشعوبه.

نسعى في هذه الدراسة إلى تفكيك آليات هذا الاستشراق الرقمي، وطرح سؤال جوهري: **كيف تصنع وسائل الإعلام الغربية شرقاً جديداً؟ وما الذي يجعل الصورة الرقمية للشرق أكثر حضوراً وتأثيراً من الواقع نفسه؟ وهل نحن أمام إعادة إنتاج لخطاب استشراقي قديم، أم أمام شكل جديد من الهيمنة الرمزية التي تُمارس عبر البيانات والصور والخوارزميات؟** إن الإجابة عن هذه الأسئلة ليست مجرد تمرين نظري، بل ضرورة لفهم كيف يُعاد تشكيل وعينا بالعالم في زمن الإعلام الرقمي، وكيف يمكن للشرق أن يستعيد حقه في تمثيل ذاته بعيداً عن عدسات الآخر.

صناعة الرأي العام عبر المنصات الرقمية

أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي في العقدين الأخيرين أداة مركزية في تشكيل الرأي العام العالمي، فبفضل انتشارها الواسع وسهولة الوصول إليها، باتت هذه المنصات تتحكم في تدفق المعلومات وتوجيهها، بحيث يمكن للقوى الغربية أن تفرض سرديات معينة حول قضايا "الشرق الأوسط" والعالم العربي، فإن الخوارزميات التي تدير هذه المنصات لا تعمل بشكل محايد، بل تُصمَّم لتكريس محتوى محدد يتماشى مع مصالح الشركات الكبرى والدول المهيمنة، مما يجعلها أداة فعّالة لإعادة إنتاج الهيمنة الثقافية.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

آليات السيطرة الرقمية

تتجلى الهيمنة الغربية عبر مواقع التواصل الاجتماعي في عدة آليات:

- **الخوارزميات الموجِّهة:** تقوم بتحديد ما يظهر للمستخدم وما يُحجب عنه، مما يخلق صورة مشوهة عن الواقع.
- **الإعلانات الموجهة:** تُستخدم لتسويق قيم وأنماط حياة غربية، وتُقدَّم بوصفها النموذج الأمثل للتقدم والحداثة.
- **التحكم في تدفق المعلومات:** حيث تُبرز المنصات أحداثاً معينة وتُهمِّش أخرى، بما يخدم مصالح القوى الكبرى.
- **الرقابة الناعمة:** إذ تُحجب بعض الأصوات الناقدة أو تُقيَّد حساباتها، بينما يُسمح بانتشار الخطاب الذي يعزز الصور النمطية عن الشرق.

ومن الأمثلة على الحملات الإعلامية الغربية يمكن رصد العديد من الحملات الإعلامية التي استُخدمت فيها مواقع التواصل الاجتماعي لتكريس صورة نمطية عن الشرق، على سبيل المثال، خلال أحداث الربيع العربي، تم تصوير المجتمعات العربية على أنها عاجزة عن إدارة شؤونها دون تدخل خارجي، وهو خطاب يعيد إنتاج الفكرة الاستشراقية القديمة بأن الشرق يحتاج إلى وصاية غربية، كذلك، في سياق الحرب على الإرهـ ـاب، انتشرت عبر تويتر وفيسبوك صور ومقاطع فيديو تُظهر "الشرق الأوسط" بوصفه فضاءً للفوضى والعنف، مما عزز صورة سلبية عن المنطقة في الوعي الغرب وأيضا ما يخص انتاج الطاقة النووية واستخدامها للاغراض السلمية وكذلك في إطار التسليح، حيث يبقى الغرب هو المتحكم بمقدرات شعوب الشرق سواء كان في الجانب الاقتصادي أو الجوانب الأمنية والسيادية ، وخير دليل ما حصل في "الشرق الأوسط" في العقدين الأخيرين من هيمنة لأمريكا وبريطانيا و"اسرائيل" وما يجري في المنطقة من حروب و آخرها الاعتداء الذي طال الجمهورية الاسلامية الإيرانية وسوريا ولبنان والصراعات المفتعلة في الهند وباكستان وإفغانستان وقضية تايوان والصين وشرق إفريقيا وغيرها من الأزمات التي تصنع من أجل السيطرة على الشرق والتحكم بمقدراته.

الاستشراق الناعم عبر المحتوى المرئي

لا يقتصر الأمر على الأخبار السياسية، بل يمتد إلى المحتوى الثقافي والترفيهي، فالمسلسلات والأفلام التي تُروَّج عبر المنصات الرقمية كثيراً ما تُعيد إنتاج صور نمطية عن العرب والمسلمين، بوصفهم إما إرهـ ـابـ ـيين أو متخلفين أو يعيشون في مجتمعات مغلقة، هذه الصور، حين تُقدَّم بشكل متكرر عبر وسائل التواصل، تُرسِّخ في الوعي الجمعي الغربي صورة مشوهة عن الشرق، وتُعيد إنتاج الاستشراق في شكله الحديث.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الاستشراق الحديث عبر الفضاء الافتراضي

في الفضاء الافتراضي، يتجلى الاستشراق الحديث عبر إعادة إنتاج الصور النمطية القديمة بوسائل جديدة، فالقضايا المرتبطة بـ"الشرق الأوسط"، مثل الإرهاب، وضع المرأة، والدين الإسلامي، تُقدَّم في الخطاب الغربي على مواقع التواصل الاجتماعي بصورة تُعزز فكرة الشرق المختلف والمتخلف، على سبيل المثال، تُستخدم أحداث العنف في المنطقة لتأكيد صورة الشرق كفضاء للفوضى، بينما تُعرض قضايا المرأة في المجتمعات العربية بوصفها دليلاً على تخلف ثقافي يحتاج إلى تدخل خارجي، هذه السرديات لا تُبنى في فراغ، بل تُغذَّى عبر المحتوى الرقمي الذي ينتشر بسرعة ويصل إلى ملايين المستخدمين حول العالم.

بناء الصور النمطية عبر المحتوى الرقمي

الصور والفيديوهات والميمات التي تنتشر على منصات مثل تويتر وإنستغرام تُسهم في تكريس صورة نمطية عن الشرق، فالمحتوى المرئي يمتلك قدرة أكبر على التأثير مقارنة بالنصوص المكتوبة، إذ يخلق انطباعات سريعة وعاطفية يصعب تفكيكها، على سبيل المثال، تصوير المدن العربية على أنها فضاءات للحروب والدمار، أو تصوير المجتمعات الإسلامية على أنها مغلقة ومتشددة، يُعيد إنتاج خطاب استشراقي قديم في قالب حديث، وهذه الصور، حين تُكرر باستمرار، تُرسِّخ في الوعي الجمعي الغربي صورة مشوهة عن الشرق، وتُعيد إنتاج علاقة الهيمنة الثقافية.

الاستشراق الافتراضي كامتداد للاستعمار الثقافي

يمكن النظر إلى الاستشراق الحديث عبر الفضاء الافتراضي بوصفه شكلاً من أشكال الاستعمار الثقافي الجديد، فبدلاً من السيطرة العسكرية المباشرة، تُمارَس السيطرة عبر إنتاج خطاب رقمي يُعيد تشكيل وعي الشعوب الشرقية ويُضعف قدرتها على تقديم سرديات بديلة، بهذا المعنى، يصبح الفضاء الافتراضي ساحة جديدة للصراع الثقافي، حيث تُستخدم أدوات الإعلام الرقمي لتكريس الهيمنة الغربية وإعادة إنتاج علاقة القوة بين الغرب والشرق.

تراجع السرديات المحلية أمام السرديات الغربية

تُظهر الدراسات أن المحتوى الغربي يهيمن على الفضاء الرقمي، سواء من حيث الكم أو التأثير، و هذا يعني أن السرديات المحلية، التي تعبّر عن خصوصية الثقافة الشرقية، تتراجع أمام السرديات الغربية التي تُقدَّم بوصفها عالمية، على سبيل المثال، حين تُعرض قضايا المرأة العربية حصراً من منظور غربي، يُهمَّش الخطاب المحلي الذي يُبرز جهود النساء العربيات في مقاومة التهميش وصناعة التغيير. هذا التراجع يُضعف قدرة المجتمعات الشرقية على تقديم روايتها الخاصة للعالم، ويُكرّس التبعية الثقافية.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الاستلاب الثقافي والاغتراب النفسي

يؤدي الاستشراق الرقمي إلى حالة من الاستلاب الثقافي، حيث يتبنى الأفراد قيم ومعايير غربية بوصفها النموذج الأمثل، ويُهملون أو يُقللون من شأن ثقافتهم المحلية، هذه الحالة تُفضي إلى اغتراب نفسي، إذ يشعر الفرد بأنه غريب في مجتمعه وغير منسجم مع ثقافته، مما يُضعف الانتماء الوطني ويُعزز التبعية للغرب، إن هذه الظاهرة ليست مجرد مسألة فردية، بل هي جزء من مشروع هيمنة ثقافية يُعيد إنتاج علاقة القوة بين الغرب والشرق في الفضاء الافتراضي.

إعادة تشكيل الهوية عبر الفضاء الرقمي

الهوية الثقافية ليست ثابتة، بل تُعاد صياغتها باستمرار عبر التفاعل مع الخطاب السائد، وفي الفضاء الرقمي، تُعاد صياغة الهوية الشرقية بما يتماشى مع الصور النمطية التي يُنتجها الغرب، على سبيل المثال، يُقدَّم العربي غالباً بوصفه "آخر" غريب، مما يدفع بعض الشباب إلى محاولة التماهي مع النموذج الغربي لتجنب الوصم، و هذه العملية تُنتج هوية هجينة، مشوشة، تفتقر إلى الأصالة، وتُعزز التبعية الثقافية بدلاً من الاستقلالية.

نقد الاستشراق الحديث:

نحو تفكيك الاستشراق الرقمي وإعادة بناء السردية

يكشف تحليل الاستشراق الرقمي عن تحوّل عميق في الطريقة التي يُعاد بها تشكيل الشرق داخل الفضاء الإعلامي المعاصر، فبدلاً من الخطابات الكلاسيكية التي كانت تُنتج عبر الكتب والرحلات والدراسات الأكاديمية، أصبح الشرق اليوم يُصاغ من خلال منظومة تقنية واسعة تتداخل فيها الخوارزميات مع سياسات المنصّات وأساليب التغطية الإخبارية، هذا التحوّل لا يعني اختفاء الاستشراق، بل انتقاله إلى مستوى أكثر خفاءً وتأثيراً، حيث تتولى التكنولوجيا مهمة إعادة إنتاج التمثيلات القديمة في قالب جديد يبدو محايداً لكنه يحمل في داخله نفس البُنى المعرفية التي حكمت علاقة الغرب بالشرق عبر قرون.

إن خطورة هذا الشكل الجديد من الاستشراق تكمن في قدرته على الانتشار السريع، وفي تأثيره المباشر على تشكيل الوعي العالمي ، فالصورة التي تُبنى رقمياً لا تبقى داخل حدود الإعلام، بل تتحول إلى مرجع ثقافي وسياسي يؤثر في السياسات العامة، وفي تصورات الشعوب، وفي العلاقات الدولية، ومع كل عملية بحث، أو مشاركة، أو توصية خوارزمية، تتكرّس صورة شرق رقمي يبتعد عن الواقع، ويقترب من الخيال الذي صاغته القوى المهيمنة.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

استمرار الصور النمطية رغم التحولات الرقمية

رغم أن الاستشراق الحديث يتخذ شكلاً رقمياً عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إلا أنه في جوهره استمرار للصور النمطية القديمة التي صاغها المستشرقون الكلاسيكيون، فالفكرة الجوهرية بأن الشرق "آخر" غريب، متخلف، يحتاج إلى تدخل غربي، ما زالت حاضرة وإن تغيّر شكلها، النقد هنا يكشف أن التحول من النصوص الأكاديمية إلى المحتوى الرقمي لم يُحدث قطيعة معرفية، بل أعاد إنتاج نفس الخطاب بوسائل أكثر تأثيراً وانتشاراً.

نقد من منظور ما بعد الاستعمار

منظورات ما بعد الاستعمار، التي ظهرت في العقود الأخيرة، تؤكد أن الخطاب الغربي حول الشرق ليس مجرد وصف محايد، بل هو أداة سياسية وثقافية للهيمنة، في هذا السياق، يُنظر إلى مواقع التواصل الاجتماعي بوصفها امتداداً لمشروع استعماري جديد، حيث تُمارَس السيطرة عبر الثقافة والإعلام بدلاً من القوة العسكرية المباشرة، فالنقد هنا يركز على ضرورة تفكيك هذا الخطاب وكشف آلياته، حتى لا يُنظر إلى المحتوى الرقمي بأنه موضوعياً أو بريئاً.

الحاجة إلى إنتاج سرديات بديلة

النقد لا يقتصر على كشف الهيمنة، بل يتطلب أيضاً تقديم بدائل، فالمجتمعات الشرقية بحاجة إلى إنتاج محتوى رقمي يُبرز خصوصيتها الثقافية ويُعيد الاعتبار لهويتها، هذا يعني أن النقد يجب أن يكون مزدوجاً: من جهة تفكيك الخطاب الغربي، ومن جهة أخرى بناء خطاب محلي مقاوم، فإن غياب هذه السرديات البديلة يُسهم في تكريس التبعية الثقافية، بينما وجودها يُعزز استقلالية الهوية الشرقية في الفضاء الافتراضي.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الخاتمة والاستنتاجات

يتضح من خلال هذه الدراسة أن مواقع التواصل الاجتماعي ليست مجرد أدوات للتواصل أو الترفيه، بل هي فضاءات لإعادة إنتاج خطاب استشراقي حديث يُكرّس الهيمنة الثقافية الغربية على الشرق، فالصور النمطية التي صاغها المستشرقون الكلاسيكيون ما زالت حاضرة، وإن اتخذت شكلاً رقمياً أكثر انتشاراً وتأثيراً، و هذه الهيمنة تُمارَس عبر الخوارزميات، الإعلانات الموجهة، والتحكم في تدفق المعلومات، مما يُعيد تشكيل وعي الشعوب الشرقية ويُضعف قدرتها على تقديم سرديات بديلة.

إن نقد الاستشراق الحديث يكشف أن السيطرة الغربية لم تعد مقتصرة على القوة العسكرية أو الاقتصادية، بل امتدت إلى الفضاء الافتراضي حيث تُصاغ الهوية وتُبنى التصورات، ومن هنا، تبرز أهمية الوعي النقدي لدى مستخدمي الشرق، وضرورة بناء فضاء رقمي مقاوم للهيمنة عبر إنتاج محتوى محلي يُبرز خصوصية الثقافة الشرقية ويُعيد الاعتبار لهويتها.

في النهاية، يمكن القول إن الاستشراق الحديث عبر مواقع التواصل الاجتماعي هو شكل جديد من أشكال الاستعمار الثقافي، وأن مقاومته تتطلب جهداً جماعياً يجمع بين النقد الأكاديمي والإنتاج الإعلامي المحلي، حتى لا يبقى الشرق مجرد "آخر" في مرآة الغرب الرقمي، ولهذه الخلفية أهمية لفهم الاستشراق الرقمي، لأن فهم الاستشراق بهذا العمق النظري لا يُعدّ ترفاً فكرياً، بل هو شرط أساسي لفهم كيف تعمل وسائل الإعلام الغربية اليوم في إنتاج شرق رقمي جديد، فالصور النمطية التي تظهر في العناوين العاجلة، والتقارير الإخبارية، والأفلام والمسلسلات، ليست معزولة عن هذا التاريخ، بل هي امتداد له داخل سياق تقني جديد، وما تغير هو الوسيط وسرعة الانتشار وكمية البيانات، لكن كثيراً من البُنى الذهنية التي حكمت نظرة الغرب إلى الشرق ما زالت حاضرة، وإن كانت تتخفى خلف لغة أكثر مهنية وموضوعية ظاهرياً.

بهذا المعنى، يصبح فهم الاستشراق الرقمي ضرورة معرفية وأخلاقية في زمن تتشكل فيه الحقائق عبر الشاشات، فالمعركة لم تعد فقط حول من يملك القوة، بل حول من يملك القدرة على رواية القصة.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

التوصيات

- **تعزيز الوعي النقدي الرقمي:** ضرورة نشر ثقافة نقدية بين مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في الشرق لمواجهة الصور النمطية والخطابات المهيمنة.
- **إنتاج محتوى محلي بديل:** تشجيع المؤسسات الإعلامية والأفراد على إنتاج سرديات رقمية تُبرز الهوية والثقافة الشرقية وتنافس الخطاب الغربي.
- **تطوير سياسات إعلامية وطنية:** صياغة إستراتيجيات رسمية لمواجهة الهيمنة الرقمية عبر دعم الإعلام المحلي وتوظيف التكنولوجيا في خدمة الهوية الثقافية.
- **التعاون الأكاديمي والإعلامي:** ربط الجهود البحثية بالنشاط الإعلامي لإنتاج خطاب نقدي متكامل يفضح الاستشراق الرقمي ويقترح بدائل.
- **بناء فضاء رقمي مقاوم:** الاستثمار في منصات رقمية محلية أو إقليمية تُتيح حرية أكبر في صياغة السرديات بعيدًا عن تحكم الخوارزميات الغربية.
- **المساعي الدبلوماسية الثقافية:** إدراج ملف الاستشراق الرقمي ضمن الحوار الثقافي والدبلوماسي بين الشرق والغرب لتقليل الفجوة وتعزيز التفاهم المتبادل.

بهذه التوصيات، يتحول الوعي النقدي إلى خطوات عملية لمواجهة الاستشراق الرقمي، ويُفتح المجال أمام الشرق ليكون فاعلًا في صياغة روايته الخاصة بدلًا من أن يبقى مجرد آخر في مرآة الغرب.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

المصادر

1. المعجم الوسيط: ج1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص482.

2. عبدالله محمد الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997، ص16.

3. سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981.

4. غرامشي، أنطونيو. كراسات السجن.ترجمة فالح عبد الجبار، بيروت: دار الفارابي، 1999.

5. هومي بابا. موقع الثقافة.لندن: روتليدج، 1994.

6. فوكو، ميشيل. المعرفة والسلطة. باريس: غاليمار، 1977.

7. الصاعدي، علي بن دخيل الله.مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها في نشر الفكر الاستشراقي، وسبل التصدي له. مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد 16، العدد 5، 2023.

8. محمود، حمدي سيد محمد.الاستشراق الجديد: قراءة نقدية في خطاب الهيمنة الثقافية. مركز الدراسات والبحوث العلمانية في العالم العربي، 2024.

9. الاستشراق- الرقمي- كيف- تصنع وسائل الإعلام الغربية شرقا جديدا- الأمان، العدد1692، 3/12/2025.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٦، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة، ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- لا تعبر الآراء الواردة في الدراسات او الاوراق البحثية والمقالات عن الاتجاهات الفكرية التي يتبناها المركز و انما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232

Alfaidcenter2011@gmail.com

www.al-faidh.com

العراق - بغداد - الكرادة